Конкурсные работы просьба отправлять на адрес Mokrushina_amalia@mail.ru с пометкой «На конкурс начинающих переводчиков»

زكريا تامر

الغيث

كانت نائلة واقفة في باحة البيت تدندن بأغنية غير مرحة وتحمل يداها إبريقاً زجاجياً مملوءاً بالماء وتسقي أصص الورد، فسمعت جرس باب البيت يرنّ بإلحاح، وسارعت إلى فتح الباب لتجد أجيراً صغير السن أخبرها بصوت متقطع مذعور أن زوجها كاظم الحموي أغمي عليه وهو في متجره، ونقلته سيارة إسعاف إلى المستشفى، ولكنه مات قبل أن يصل إليه، فأفلتت أصابع يديها إبريق الماء وسقط مكسراً على الأرض وتناثر شظايا، وفتحت عينيها إلى أقصاهما مدهوشة مذهولة مبهوتة، وشلها حزن قاهر منعها من البكاء والندب والصراخ ولطم الوجوه والصدور، واكتأبت كآبة جعلتها تقعد على الأرض الباردة ذاهلة عن الكرسي الوثير القريب منها، وفجأة خضعت لخشوع جارف، فانحنت على الأرض وقبلتها، ونظرت إلى السماء، وصرخت: "أنت كبير يا رب!".

وكأن للمصائب سحرها الغامض العسير على التأويل، فعندما قعدت نائلة على الأرض كانت مجرد امرأة في الثلاثين من عمرها، ولكنها عندما نهضت واقفة كان عمرها أقل من عشرين سنة، واختفى اللون الأصفر من جلدها ليحل محله لون وردي، وهرعت إلى المطبخ، ودلقت في البالوعة الزيت والسمن والخل، ونثرت على الأرض البرغل والأرز والعدس والفلفل والزعتر والملح كأن الطعام لم يعد مستساغاً بعد موت زوجها، وخرجت من المطبخ، وركضت بين غرف البيت، وجمعت كل ما لدى زوجها من ثياب، وقطعتها بالمقص قطعاً صغيرة، ورمتها في باحة البيت، وأشعلت فيها النار، وأتلفت كل الصور الفوتوغرافية لزوجها وهي المؤمنة أن تقليد الخالق كفر، وحذفت من أرشيف زوجها في الآخرة صفحة خطيرة ملأى بالذنوب، وما كان يدهمها من حزن طاغ جعلها تنسى ارتداء ملاءتها السوداء، وسارت في الجنازة وراء التابوت الذي سجي فيه زوجها حاسرة الرأس وشعرها الأسود الطويل يتهدل على كتفيها ووجهها متطايراً في الهواء، ولم تشتر ثوباً حالك السواد لحرصها على ألاّ تنفق أموال زوجها إلاّ على أعمال البر والإحسان، واكتفت بارتداء ثوب أحمر ضيق قصير لن يصل إلى ركبتين بلون الحليب مهما حاول وركض، ومشت به بخطوات متباطئة وقور جعلت الرجال لا ينامون في الليل حزانى، وعندما وصلت الجنازة إلى المقبرة ووضع زوجها في حفرة القبر وأهيل التراب عليه، طاش صوابها، وزغردت وهي تظن أنها تولول، وصاحت به متسائلة بصوت ملتاع: "كيف رحت يا كاظم وتركتني؟".

وكان زوجها كاظم الحموي غصناً مقطوعاً من شجرة مجهولة، لا أهل له البتة، وكان غنياً لا يثق بالمصارف ولا بالأوراق النقدية، وكل ما يجمعه يحوّله ليرات ذهبية ويخبئها في بيته في أماكن سرية لا تجهلها نائلة، وكان يملك متجراً كبيراً يحتوي جميع أنواع الأقمشة وأغلاها، فباعته نائلة على عجل بكل ما فيه كأنها على سفر قريب، فلم تسافر، ولكنها لم تستطع العيش في بيت شهد حياتهما حلوها الكثير ومرّها القليل، فباعته أيضاً، واشترت بيتاً آخر أكبر وأفخم حتى يتسع لذكرياتها المشتركة مع زوجها، وفرشته من أوله إلى آخره بأثاث جديد، ولم يكف الرجال متزوجين وعزاباً عن التردد إليه لتقديم تعازيهم إلى امرأة لا تنسى زوجها الذي مات.